



مجلة جامعة السعيد للعلوم الإنسانية والتطبيقية

Al – Saeed University Journal of Humanities and Applied Sciences  
[journal@alsaeeduni.net](mailto:journal@alsaeeduni.net)

Vol (6), No(2), May, 2023

المجلد(6)، العدد(2)، 2023م

ISSN: 2616 – 6305 (Print)

ISSN: 2790-7554 (Online)



## دفع مطاعن وتفنيذ شبهات جمع القرآن الكريم

د/ عبدالرحمن عبدالله عثمان

أستاذ مساعد بجامعة أم القرى - مكة المكرمة

تاريخ قبوله للنشر ٢٠٢٣/٣/٥م

تاريخ تسليم البحث ٢٠٢٢/١١/٢٦م

<https://journal.alsaeeduni.net>

موقع المجلة:

## دفع مطاعن وتفنيدها شبهاة جمع القرآن الكريم

د/ عبدالرحمن عبدالله عثمان

أستاذ مساعد بجامعة أم القرى - مكة المكرمة

## الملخص

تضمن البحث في بدايته عن أهمية جمع القرآن الكريم والحكمة من جمعه.. ثم تحدثت فيه عن أول شبهه وهي: شبه الزيادة والنقص:

حيث قمت بالرد على من قال بأن في جمع القرآن نقصاً أو زيادة وكذلك الرد على من قال، كما تم الرد على الشبهة القائلة بزيادة بعض الالفاظ الغير موجودة في القرآن الكريم.

كم تم الرد على الشبهة التي اثاروها في الكاتب الذي كتب هذا الجم، والرد على من قال بأن القرآن إنما قرئ بالتشهي والرغبة وليس كما أنزل على النبي صل الله عليه وسلم ورد مزاعمهم الباطلة التي اثاروها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأن النبي صل الله عليه وسلم انما قرأ القرآن كما أنزل عليه دون زيادة أو نقص.

كما تم الرد على أعداء الاسلام الذين زعموا بأنه عند جمع القرآن حصل تقديم وتبديل وتأخير في سور القرآن الكريم، والصحيح أن ترتيب كتاب الله وتنظيمه لم يعتريه التبديل منذ أنزل على رسول الله صل الله عليه وسلم وإلى قيام الساعة.

وتم الرد على شبه الخوارج الباطلة التي اثاروها على صحابة رسول الله صل الله عليه وسلم.

**الكلمات المفتاحية:** مطاعن، شبهاة، جمع القرآن الكريم.

## Paying complaints and refuting suspicions of collecting the Holy Qur'an

**Dr. Abdul Rahman Abdullah Othman Ahmed**

A collaborating teacher at Umm Al-Qura University  
in Makkah Al-Mukarramah

### Abstract

At its beginning, the research included the importance of collecting the Holy Qur'an and the wisdom of collecting it.

Then I talked about the first of its similarities, which is: the similarity of excess and deficiency:

Where I responded to those who said that in the compilation of the Qur'an there is a deficiency or an addition, as well as the response to those who said, as well as the response to the suspicion that the addition of some words that are not found in the Holy Qur'an have been answered.

How many answers have been given to the suspicions they raised about the writer who wrote this collection? And the response to those who said that the Qur'an was read with desire and desire, and not as it was revealed to the Prophet, may God bless him and grant him peace, and counter their false claims that they raised against the Mother of the Believers, Aisha, may God be pleased with her, that the Prophet, may God bless him and grant him peace, only read the Qur'an as it was revealed to him without addition or omission.

The enemies of Islam were also answered, who claimed that when the Qur'an was compiled, an introduction, alteration, and delay occurred in the chapters of the Holy Qur'an.

The false quasi-Khawarij that they raised against the Companions of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, were answered.

**Keywords:** slander, suspicions, collection of the Holy Quran.

## المقدمة

أحمدُ الله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الهداة المهديين، صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

## وبعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله تعالى، المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، وقد نزل منجماً مفزحاً، منقولاً إلينا بالتواتر، برهاناً معجزاً على صدق رسالة الإسلام. وقد تكفل الله - عز وجل - بحفظه دون غيره من سائر خلقه، ودون غيره من الكتب السماوية السابقة، فوصل إلينا خالياً -تماماً- من التحريف والتغيير والتبديل الذي لحق بغيره من الكتب السماوية السابقة عليه.

وقد أكد القرآن الكريم أن الكتب السابقة قد أصابها التحريف والتغيير والتبديل بأيدي القائمين عليها من ذلك قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ - وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، والتحريف الذي أحدثوه كان في لفظه بالتقديم والتأخير، والحذف والزيادة والنقصان، يفعلون ذلك ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، كما كان في معانيه، بسوء التأويل وحمل الألفاظ على غير ما وضعت له، والتحايل لتبديل المعاني، من جهة اشتباه الألفاظ واشتراكها وتشعب التأويلات فيها، فكانوا يتلقون الآيات وهم غير واعين لما يتلى عليهم: ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَأَيْتُ لِيَأْسَنِيهِمْ وَطَعَنًا فِي الَّذِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فوق التحريف بالكتاب لفظاً ومعنى فصار مسخاً لا رواء فيه ولا روح.

وكان مقصد اليهود من هذا التحريف هو عرض الحياة الدنيا ليشتروا به ثمناً قليلاً فقد كانت اليهود تعطي أبحارها بعض أموالهم على ما كانوا يضعونه لهم، مما ينصرون به اليهودية، وكانوا يؤثرون تكذيب النبي ليأخذوا الرشا على ذلك وتحصل لهم الرياسة في الدنيا<sup>(٥)</sup>.

وقد ذكر القرآن أنهم محاسبون على فعلهم هذا بأن أعد الله لهم وادياً في جهنم خاصاً بهم في قوله تعالى: ﴿قَوْلِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٦)</sup> والذي دعاهم إلى ذلك "قرط جراتهم على الله ويأسهم من الآخرة"<sup>(٧)</sup>. فخضعوا للهوى خضوعاً أمالهم عن الحق وزين لهم تحريف الكتاب.

(١) الآية (١٣) سورة المائدة.

(٢) الآية (٤٦) سورة النساء.

(٣) الآية (٧٨) سورة آل عمران.

(٤) الآية (٤٦) سورة النساء.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي ١٠/١١٥، ط عبد الرحمن محمد.

(٦) الآية (٧٩) سورة البقرة.

(٧) البحر المحيط ٢/٥٠٣.

ولعل الذي أوجد ذلك التحريف في تلك الكتب هو: "أن الله لم يتكفل بحفظها، وإنما أوكل حفظها إلى الربانيين والأخبار ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾" (١).

ويقول المولى عز وجل في كتابه الكريم مخاطباً رسوله الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (٢) ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (٣) ﴿ إِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ لَهُ ﴾ (٤) ﴿ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٥). ومنه يعلم أن جمع القرآن الكريم قد تكفل به المولى سبحانه وتعالى بما يضمن سلامة الوحي المنزل. فقيض الله له من قام بحفظه وجمعه طبقاً لمنهج فريد لم يتيسر لغير القرآن من النصوص الأخرى، والتي قد تعرضت للتحريف والتغيير والتبديل على أيدي القائمين عليها. إلا أن بعض المغرضين والمشككين قد طعنوا في سلامة هذا الجمع وصحته فألحقوا به كثيراً من الشبه والطعون. ومن هنا رأيت من واجب الحق أن أدفع بعض هذه الطعون وأناقشها مناقشة علمية موضوعية في ضوء ما أورده علماءنا الأجلء من نصوص، وذلك طبقاً لمعطيات المنهج التحليلي والذي يقوم أساساً على عرض الشبهة كما أوردها أصحابها، ثم دحضها وتفنيدها، وبيان وجه الحق فيها، وفق المنهج العلمي المتجرد المحايد، بغية الوصول إلى الحق والصواب.

واقترضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، ثم فهراس

متنوعة:

ففي المقدمة: تناولت أهمية الموضوع، ومنهج البحث فيه، وخطته.

والتمهيد وفيه: مدخل حول جمع القرآن الكريم في العهدين (البكري، والعثماني).

والمبحث الأول: شبه الزيادة في جمع القرآن والنقص منه.

والمبحث الثاني: شبه حول الصحابة الذين جمعوا القرآن.

والمبحث الثالث: جمع القرآن حسب الرغبة والتشهي.

والمبحث الرابع: شبه المتعلقة بعدد سور القرآن وترتيبها.

وفي الخاتمة نتائج البحث وتوصياته ثم فهراسه.

والله ولي التوفيق..

(١) الآية (٤٤) سورة المائدة.

(٢) الآيات: ١٦، ١٧، ١٨ من سورة القيامة.

## تمهيد: جمع القرآن الكريم في العهدين البكري والعثماني

## مدخل:

إن الكتب المنزلة السابقة على الأنبياء عليهم السلام جيء بها على التوقيت لا على التأبيد، "وأن القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ومهيماً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته وكان ساداً مسدها ولم يكن شيئاً منها ليسد مسده"<sup>(١)</sup>. وقد سلم القرآن من كل شيء من هذا القبيل بفضل تكفل المولى - عز وجل - بحفظه فلم تتقطع أسانيده في أي وقت وإلى أن تقوم الساعة حيث قبض الله له من بحث في كل شيء فيه فقد درس القرآن من كل جوانبه، ففرصة العبث به مفقودة، وطريق التحريف فيه مسدودة. ولكن ما برح أعداء الإسلام يكيدون له، يحاولون إطفاء نوره، وتشويه صورته ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَآنَ يَبْعَثُ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن قتيبة "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ﴿مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> بأفهام كليلة وأبصار علييلة، ونظر مدخول فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة، واللحن، وفساد النظم والاختلاف وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور"<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد حاكت نابتة السوء هذه بخيوط العنكبوت بيوتاً من الشبه والظنون فجاءت شيئاً إدا، تتهاوى كلها أمام ما ورد بالنقل الصحيح المتواتر المعتمد أساساً من أسس نقل القرآن الكريم. وقد تعددت تلك الشبه فمنها ما هو مختص بإيراد الشبه في طريقة نزوله وجمعه، ومنها ما هو متعلق بطريقة جمعه وحفظه ونقله، ومنها ما يتعلق بادعاء وقوع التناقض بين آياته المحكمة. ومن تلك الشبه ما حاكوه حول: جمع القرآن الكريم.

## جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما

جمع القرآن على عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بواسطة لجنة من الصحابة بلغوا الغاية في الدقة والتحري واتبع في هذا الجمع منهج دقيق حريص متحرج أعان على وقاية القرآن من كل ما لحق بالنصوص الأخرى من مظنة الوضع والانتحال وعوامل النسيان والضياع وقام على ما يلي<sup>(٥)</sup>:

(١) النبا العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، ٨-٩.

(٢) من الآية (٣٢) سورة التوبة.

(٣) الآية (٧) سورة آل عمران.

(٤) في: تأويل مشكل القرآن ٢٢-٢٣.

(٥) ينظر: الجمع الصوتي: ٣٧.

- قام عمر بن الخطاب فقال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأت به<sup>(١)</sup>، وكان ذلك بالأحرف السبعة.
- كانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب<sup>(٢)</sup>.
- كانوا لا يقبلون من أحد شيئاً حتى يُشهد شهيدين<sup>(٣)</sup>. وفيه دلالة على أن زيدا كان لا يكتبي بمجرد وجدانه مكتوباً، حتى يشهد به من تلقاه سماعاً، مع كونه يحفظه، إلا أنه كان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط<sup>(٤)</sup>.
- وكان لا يكتب إلا ما كان من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ، مع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند هذا<sup>(٥)</sup>.
- وما ثبت أنه عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته، دون ما كان مأذوناً فيه قبلها<sup>(٦)</sup>.
- وما ثبت أنه من الوجوه التي نزل بها القرآن<sup>(٧)</sup>.
- وكانت كتابة الآيات والصور على الترتيب والضبط الذين تلقاهما المسلمون عن رسول الله<sup>(٨)</sup> صلى الله عليه وسلم.

والترزم المسلمون بتلك القواعد وتم الجمع القرآني في العهد البكري، وحظي عمل سيدنا أبي بكر برضى المسلمين جميعاً: أخرج ابن أبي داود في: المصاحف بسند حسن عن عبد خير قال: "سمعت علياً يقول: أعظم الناس في المصاحف أجراً: أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر! هو أول من جمع بين اللوحين"<sup>(٩)</sup>.

والحق أن لهذا الجمع فضلاً كبيراً فقد تدارك - في وقت مبكر - كل الأصول التي كتب فيها القرآن وأفاد منها قبل أن يتفرق منها شيء، أو يضيع، أو تعدو عليه عوامل البلى<sup>(١٠)</sup>.

ولما توفي الصديق رضي الله عنه وقام بالأمر بعده سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرّر الأمر قراره على ما ترك الصديق ثم لما انتقل وتولى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أشير عليه بجمع القرآن<sup>(١١)</sup>. بسبب "تنازع أهل الشام وأهل العراق في القرآن: أهل الشام يقرءون بقرءة أبي

(١) ينظر: تاريخ عمر: ابن الجوزي: ١٢٩، لطائف الإشارات: القسطلاني ٥٥/١.

(٢) ينظر: فتح الباري ١١/٩، لطائف الإشارات ٥٥/١، ابن الجوزي: تاريخ عمر: ١٢٩.

(٣) قال ابن حجر: وكان المراد بالشاهدين: الحفظ والكتاب: ١١/٩.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: القسطلاني ٥٦/١، الإتيان: للسيوطي ٧٧/١.

(٥) فتح الباري ١٢/٩، الجمع الصوتي: د/ لبيب السعيد: ٣٧.

(٦) الإتيان ٧٧/١، السابق.

(٧) الإتيان للسيوطي ٩٦/١، لطائف الإشارات ١٥٦/١.

(٨) ينظر: فتح الباري: ١٢/٩، الجمع الصوتي: د/ لبيب السعيد: ٣٧.

(٩) ينظر: كتاب المصاحف: ابن أبي داود السجستاني: ٥.

(١٠) ينظر: الجمع الصوتي الأول: د/ لبيب السعيد: ٣٩.

(١١) ينظر: لطائف الإشارات: للقسطلاني ٥٧/١.

بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفر بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>.

حدث ذلك في سنة خمس وعشرين من الهجرة عام فتح أرمينية وكان فيها حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فرأى ناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأى أهل البصرة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرؤوا على موسى ويسمون مصحفه "باب القلوب"<sup>(٢)</sup>، وغضب حذيفة لما سمع واحمزت عيناه فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: هكذا من كان قبلكم، اختلفوا! والله لأركبن إلى أمير المؤمنين، وجاء مفزعاً إلى المدينة، ولم يدخل بيته حتى أتى سيدنا عثمان فقال له: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى!<sup>(٣)</sup>، أو قال: أنا النذير العريان! فأدركوا الأمة!<sup>(٤)</sup>.

وكأن عناية الله لاحظت الأمة فقد وقع أمام سيدنا عثمان قريب من ذلك حيث: "كان المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقونه فيختلفون، حتى كفر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك سيدنا عثمان فتعاضم في نفسه، فقال: أنتم عندي تختلفون؟ فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً"<sup>(٥)</sup>.

وهكذا لما جاء حذيفة وأخبره تحقق عنده ما ظنه من ذلك فما كان منه رضي الله عنه إلا أن جمع أصحابه واستشارهم قائلاً: ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً؟ قال الصحابة: فما ترى؟ قال: أرى أن نجتمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قال الصحابة: فَنِعَمَ ما رأيت<sup>(٦)</sup>.

وما إن أقر الصحابة سيدنا عثمان على ذلك ورضوا فعله حتى أرسل إلى -سيدتنا- السيدة حفصة بنت عمر أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف<sup>(٧)</sup>، فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد ابن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف<sup>(٨)</sup>، وقال سيدنا عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم<sup>(٩)</sup>، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد

(١) ينظر: فتح الباري: لابن حجر ١٤/٩.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ: لابن الأثير ٨٥/٣-٨٦.

(٣) ينظر: فتح الباري: لابن حجر العسقلاني ١٥-١٤/٩.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ: لابن الأثير ٨٦/٣، الإتيان للسيوطي: ٧٨/١.

(٥) فتح الباري ١٤/٩، الإتيان ٧٩/١.

(٦) ينظر: فتح الباري: ١٥/٩، الإتيان ٧٩/١.

(٧) ينظر: فتح الباري: ١٥/٩، لطائف الإشارات: للقسطلاني ٥٧/١.

(٨) ينظر: النشر: لابن الجزري ٧/١، لطائف الإشارات ٥٧/١.

(٩) ينظر: فتح الباري ١٦/٩، لطائف الإشارات: ٥٨/١، الجمع الصوتي: د/ليب السعيد: ٤٨، المقنع للداني: ١٦.



سيدنا عثمان الصحف إلى السيدة حفصة رضي الله عنها، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق<sup>(١)</sup>. واختلف في عدة المصاحف التي أرسل بها سيدنا عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة، وقيل سبعة: إلى مكة، وإلى الشام، واليمن، والبحرين، والبصرة، والكوفة، وحبس بالمدينة واحد، وأحرق ما سوى ذلك<sup>(٢)</sup>.

وكانت كتابتهم هذه المصاحف بإجماع منهم، على اللفظ الذي استقر في العريضة الأخيرة، التي قرأ بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سيدنا جبريل عليه السلام عام قبض، وعلى ما صح مستفاضاً عنه عليه الصلاة والسلام، دون غيره، قطعاً لمادة الخلاف، وجرّدوا كتابتها من النقط والشكل ليحتمل ما صح نقله وثبتت تلاوته، إذ كان الاعتماد على الحفظ، لا على مجرد الخط، فقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم، وأخذوا ما فيه عن الصحابة، الذين أخذوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن قصد سيدنا عثمان من هذا الجمع أن يجمع القرآن بين لوحين كما فعل سيدنا أبو بكر رضي الله عنهما "وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد"<sup>(٤)</sup>.

ولم يسلم هذا المنهج الدقيق من طعن الطاعنين وسهام الحاقدين فصوبوها إليه بشبه أصولها، وطعون اخترعوها.. ولكن هيهات!!!  
ومن تلك الشبه ما زعموه من أن في القرآن الكريم زيادة ونقصا:

(١) ينظر: لطائف الإشارات ٥٨/١، المقنع للداني: ١٨.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات ٦٣/١-٦٤، وينظر: المقنع: للداني ١٩.

(٣) ينظر: المقنع: للداني ١٦-١٨، لطائف الإشارات للقسطاني ٦٤/١.

(٤) ينظر: البرهان للزركشي ٢٣٥/١-٢٣٦، الإتيان: ٦٠/١.

### المبحث الأول: شبه الزيادة في جمع القرآن والنقص منه:

من تلك الطعون والشبه ما أثاروه من أن في القرآن الكريم زيادة ونقصاً فمن أوجه النقص ما يلي:  
 أ- نسبوا إلى سيدنا عبد الله بن مسعود أنه: أسقط الفاتحة من مصحفه، وكذا المعوذتين. ولذا كان عدد سور القرآن عنده مائة واثنى عشرة سورة<sup>(١)</sup>، فقد صح عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصاحف ويقول: ليستا من كتاب الله<sup>(٢)</sup>، وإنما أمر النبي صلي الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ولذا عوذ بهما الحسن والحسين<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر هذه الشبهة المستشرق نولدكه، حيث عدّ إسقاط ابن مسعود لهذه السور الثلاث من أوجه الطعن في نقل القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>.

وفي ذا من الشبه ما لا يخفى؛ إذ فيه صراحة وجود النقص في القرآن الكريم، وليس بسديد من وجوه كثيرة:

#### أولاً: فيما يتعلق بفاتحة الكتاب:

يقول ابن قتيبة: إن ذلك "ليس لظن ابن مسعود أن الفاتحة ليست من القرآن، معاذ الله! ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد"<sup>(٥)</sup> وأنه لا تصح الصلاة بدونها ففي الحديث (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)<sup>(٦)</sup> يؤكد ما ورد مروياً عن أبي بكر الأنباري: "حدثنا الحسن بن الحباب، حدثنا سليمان بن الأشعث، حدثنا بن أبي قدامة، حدثنا جرير، عن الأعمش، قال: أظنه عن إبراهيم، قال: قيل لعبد الله بن مسعود: لم تكتب فاتحة الكتاب في مصحفك؟ قال: لو كتبتها لكتبتها مع كل سورة، قال أبو بكر: يعنى أن كل ركعة سبيلها أن تفتح بأم القرآن قبل السورة المتولة بعدها فقال اختصرت بإسقاطها، ووثقت بحفظ المسلمين لها، ولم أثبتها في موضع فيلزمي أن أكتبها مع كل سورة إذ كانت تتقدمها في الصلاة"<sup>(٧)</sup>.

ويذهب النووي فيما نقل عنه إلى إجماع المسلمين على قرآنية الفاتحة وأنها من القرآن وأن ما نقل عن ابن مسعود فيها باطل غير صحيح<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر: الإتيان للسيوطي ٦٥/١، ٧٩، ٨٢، ٨٦..

(٢) ينظر: فتح الباري: ٧٤٢/٨، الإتيان: ٨٢/١، وراجع: روح المعاني للآلوسي: ٤٦/١-٤٧.

(٣) فتح الباري: ٤٧٢/٨، روح المعاني: ٤٧/١.

(٤) في كتابه تاريخ القرآن: ٢٧٤.

(٥) تأويل مشكل القرآن له: ٨٠ بتصرف.

(٦) عن عيادة بن الصامت: مسند أبي عوانة ١٢٥/٢.

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١١٤/١ بتصرف.

(٨) شرح صحيح مسلم ١٠٨/٢-١١٠.

## ثانياً: فيما يتعلق بالمعوذتين:

وأنها ليستا من كتاب الله وإنما هما رقية يتعوذ بهما فقد ذهب النووي وابن حزم إلى أن هذا كذب صراح على ابن مسعود فقد "أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة، وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئاً منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود - في الفاتحة والمعوذتين - باطل وليس بصح"<sup>(١)</sup>.

ويحتمل على صحة هذه الرواية اعتقاده أنه (لا يلزمه كتب كل القرآن - فتركهما - وكتب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده، وعند الناس)<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد ذلك ابن حزم بقوله: "كل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح؛ وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتين"<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤكد القول بالبطلان "أن ابن مسعود لو كان قد أنكر المعوذتين على ما ادعوا؛ لكانت الصحابة، تناظره على ذلك، وكان يظهر وينتشر فقد تناظروا في أقل من هذا. وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعه في المصحف، فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة بالإجماع المتقرر والاتفاق المعروف؟ ويجوز أن يكون الناقل أشبه عليه، لأنه خالف في النظم والترتيب، فلم يثبتهما في آخر القرآن والاختلاف - بينهم - في موضع الإثبات غير الكلام في الأصل"<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد ثبت بالأسانيد الصحاح أن قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف كلها تنتهي إلى ابن مسعود، وفي هذه القراءات: المعوذتان والفاتحة جزء من القرآن وداخل فيه، فنسبة إنكار كونها من القرآن إليه غلط فاحش ومن أسند الإنكار إلى ابن مسعود فلا يعبأ بسنده عند معارضة هذه الأسانيد الصحيحة بالإجماع<sup>(٥)</sup>.

فظهر بهذا أن نسبة الإنكار إلى ابن مسعود باطلة، ولعل خلو مصحفه منها أنها كانت من أوراده رضي الله عنه فاكتفى بالحفظ من الكتابة، أو كان مكتوباً عنده في قرطاس مفرد فاستغنى عن الكتابة في المصحف<sup>(٦)</sup>.

إلا أن دعاة التشكيك والتشتت يتلقفون ذلك بحقد دفين فلا جرم أن تثار تلك الشبه تحت غلال وستار ما يسمى بالبحث العلمي وهو منهم براء.

(١) السابق وينظر: الإتيان ٧٩/١.

(٢) شرح صحيح مسلم: ٢١٠٨-١١٠.

(٣) المحلى بالآثار: ٣٢/١.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ٢٠/١٩٤ هامش الإتيان للسيوطي.

(٥) راجع أسانيد القراء العشرة في الكتب المعتمدة في ذلك وقارن بـ: الجمع الصوتي. د/ لبيب ٣٤١.

(٦) السابق.

ب- ومن أوجه الزيادة ما نسب إلى أن مصحف أبي بن كعب يشتمل على سورتي: الحفد والخلع وعليه فإن عدد سور القرآن عنده مائة وست عشرة سورة ففي الإتيان: "كتب أبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك، واللهم إياك نعبد"<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضا: "أخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونتى عليك ولا نكفرك، نخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق"<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضا: "وأخرج الطبراني<sup>(٣)</sup> بسند صحيح. عن أبي إسحاق قال: أمنا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين. وكذا أخرج البيهقي<sup>(٤)</sup> وأبو داود في المراسيل<sup>(٥)</sup> عن خالد بن أبي عمران: أن جبريل نزل بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم"<sup>(٦)</sup>.  
هذه الروايات وغيرها تحمل في طياتها خطراً جسيماً وشرّاً مستطيراً إن لم تفهم تلك النصوص على حقيقتها فالأمر أمر شرع وعقيدة وكتاب مقدس منزّه عن الزيادة والنقص.

فما لا شك فيه "أنه لا يخفى على العربي القرآن من غيره ثم إن الصحابة كانوا أغير على كتاب الله، وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط، فالزيادة أو النقصان في ذلك العدد مكشوف ولاقت لوضوحه، وربما أن هذه الزيادات كانت مكتوبة في مصحف أبي للقنوت فقط - كدعاء - كما يكتب أحدنا بعض الأدعية في آخر ما معه من صحف وكتب، ولو كان الأمر أمر حروف معدودة يقع فيها الغلط أو النسيان لجاز أن يكون شيئاً عادياً يقع مثله للحفاظ أما أن يكون الغلط في سورتين فهو مما لا يمكن تجويزه لأنه غير طبيعي"<sup>(٧)</sup>.

ج- ومن أمثلة الزيادة أيضا ما ذكره أبو حيان في البحر من أن ابن مسعود، وابن عباس وابن الزبير قرؤوا قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٨)</sup>، بزيادة "في مواسم الحج". ويعلق أبو حيان على ذلك بقوله: "والأولى جعل هذا تفسيراً لأنه مخالف لسور المصحف الذي أجمعت عليه الأمة"<sup>(٩)</sup>.

(١) الإتيان ١/ ٨٦-٨٧.

(٢) الإتيان ١/ ٨٧، روح المعاني للألوس ١/ ٤٦.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ١/ ٢٩٢، رقم ٨٦٠.

(٤) السنن الكبرى، للبيهقي: ٢/ ٢١٠.

(٥) المراسيل: ١١٨، رقم ٨٩.

(٦) الإتيان ١/ ٨٧.

(٧) إعجاز القرآن للباقلاني على هامش الإتيان ٢/ ١٩٣-١٩٤ بتصرف.

(٨) البقرة: (١٩٨)

(٩) البحر المحيط ٢/ ٩٤.

هذا وقد روى عن سيدنا عبد الله بن مسعود كثيراً من تلك الروايات الملققة التي لا تعتمد على رواية مقبولة أو صحيحة مما لم يثبت عند أهل النقل، "وما ثبت منها مخالفاً للصواب فمحمول على أنه كان يكتب- في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير، مما يعتقد أنه ليس بقرآن، وكان لا يعتقد تحريم ذلك وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء. وكان رأى سيدنا عثمان والجماعة منع ذلك لئلا يطول الزمان ويظن ذلك قرآناً"<sup>(١)</sup>.

على أن كثيراً من العلماء قد عدوا تلك القراءة من القراءات التفسيرية.

هذا هو القول الصواب فيما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه، وموقفه من هذه السور الثلاث. يقول الأمدى في الإحكام: "فلو قلنا إن ما نقله ابن مسعود قرآن لزم ارتكاب من عدها من الصحابة للحرام بالسكوت، ولو قلنا إنه ليس بقرآن لم يلزم منه ذلك، لا بالنسبة إلى الراوي، ولا بالنسبة إلى من عدها من الساكتين، وبتقدير ارتكاب ابن مسعود للحرام مع كونه واحد، أولى من ارتكاب الجماعة له، وعلى هذا فقد بطل قولهم بظهور صدقه فيما نقله من غير معارض"<sup>(٢)</sup>.

د- ومن أمثلة ذلك أيضاً ما روى من أنه "قيل لزيد: يا أبا سعيد! أوهمت؟ إنما هي: ثمانية أزواج من الضأن اثنين اثنين، ومن المعز اثنين اثنين، ومن الإبل اثنين اثنين، فقال لأن الله يقول: ﴿جَعَلَهُنَّ أَزْوَاجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾<sup>(٣)</sup>، فهما زوجان كل واحد منهما زوج: الذكر زوج والأنثى زوج"<sup>(٤)</sup>.

فحوى ذلك أنه اعترض على كتابه سيدنا زيد بن ثابت لقوله تعالى: ﴿تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾<sup>(٦)</sup>. إذ كان عليه أن يكتب (اثنين اثنين).

ولعل منشأ هذا الاعتراض هو الجهل بقواعد اللغة وسننها ومفرداتها فكل فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زوجاً فيقال للذكر زوج وللأنثى زوج ويقع لفظ الزوج للواحد والاثنين، يقال: هما زوجان، وهما زوج ويقول: اشتريت زوجي حمام وأنت تعني ذكراً وأنثى.

ففي البحر: "والزوج ما كان مع آخر من جنسه، وهما زوجان... فإن كان وحده فهو فرد، ويعني باثنين ذكراً وأنثى أي: كبشا ونعجة، وتبساً وعنزة"<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم ١٠٨/٦-١١٠.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: الأمدى ٢٣٢/١-٢٣٣.

(٣) الآية (٣٩) سورة القيامة.

(٤) الإتيان للسيوطي ١/١٨٥.

(٥) الجمع الصوتي د/ لبيب السعيد: ٣٣١.

(٦) البحر المحيط: ٢٣٩/٤.

وفى روح البيان: "والزوج هو ما معه آخر من جنسية يزواجه ويحصل منهما النسل، فالاثنتان المصطحبان يقال لهما زوجان لا زوج، فعلى هذا يقال مقرضان ومقصان، ولا مقراض ومقص لأنهما اثنتان"<sup>(١)</sup>.

وهذا مما يؤكد ويقوي حجة سيدنا زيد بن ثابت - رضي الله عنه - في صحة ما كتبه "وبيان وجه ما كتبه وقرأه سماعاً وأخذاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصرفاً وتشهياً من تلقاء نفسه"<sup>(٢)</sup>. يقول الدكتور/ لبيب السعيد: "والمعترض على زيد أشكلت عليه كلمة (أزواج) فهو فهمها على أن مفردهما، وهو زوج يعني -في الآية- فردين لا فرداً واحداً، أي: أن الآية بحسب فهم المعترض تعني ثمانية أشفاع (جمع شفع) من الضأن اثنتين اثنتين، أي أربعة... وهكذا من الإبل وهكذا من البقر فتصير منها جميعاً ثمانية أشفاع بستة عشر فرداً ولا هكذا -فيما هو واضح جداً- مراد الآية. والآن ألا يحق لنا علمياً - تلقاء هذا الاعتراض المجهول النسب والذي يغضي عن معرفة لغوية سهلة وجهيرة ليفضي إلى إساءة دينية وتاريخية خطيرة، وهي التغيير من المعاني الصريحة في التنزيل ورمي جامعيه بالنسيان والتضليل -ألا يحق لنا أن ننكر نسبة هذا الاعتراض إلى مسلم عربي عاصر جامعي القرآن، وأن نعزوه -وبحق- إلى بعض خصوم الإسلام ممن واجهوا كتابه بالعداوة وأيضاً بالغباوة"<sup>(٣)</sup>.

وهذا مما يؤكد أن خصوم الإسلام هم الذين يدسون السم في العسل ليصطادوا في الماء العكر، ﴿فَكَذَّبُوهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَشِيرٌ أَوْ نَذِيرٌ﴾.

ومن ذلك أيضاً ما نقله الآلوسي من زعم الشيعة: "أن عثمان، بل أبا بكر وعمر، أيضاً حرفوه وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره، فقد روى الكليني -منهم- عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله، أن القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية. وروى محمد بن نصر عنه أنه قال كان في ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وروى عن سالم بن سليمان، قال: -قرأ رجل- على ابن عبد الله -وأنا أسمع- حروفاً من القرآن ليس ما يقرؤها الناس فقال أبو عبد الله: معه عن هذه القراءات وأقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم فاقراً كتاب الله على حده. وروى عن محمد بن جهم الهلالي وغيره عن أبي عبد الله أن ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ليس من كلام الله بل محرف عن موضعه والمنزل (أئمة هي أركى من أئمتكم)<sup>(٥)</sup>.

(١) روح البيان: لإسماعيل حقي: ٦٨٧/١.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني: ٣٨٩.

(٣) بتصرف من: الجمع الصوتي د/ لبيب السعيد: ٣٣٣.

(٤) الآية (٩٢) سورة النحل.

(٥) روح المعاني للآلوسي ٢٥-٢٤/١.

وذكر ابن شهرآشب المازندراني في كتاب المثالب له أن سورة -تسمى بـ- الولاية سقطت بتمامها، وكذا أكثر سورة الأحزاب فإنها كانت مثل سورة الأنعام فأسقطوا منها فضائل أهل البيت. وكذا أسقطوا لفظ (ويلك) من قبل ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(١)</sup> و(عن ولاية علي) من بعد ﴿وَقَوْمُهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾<sup>(٢)</sup> و(يعلى بن أبي طالب) من بعد ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾<sup>(٣)</sup>، و(وآل محمد) من بعد ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾<sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك فالقرآن الذي بأيدي المسلمين اليوم أشد تحريفًا -عند هؤلاء- من التوراة والإنجيل<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه أحمد عن أبي قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك فقرأ على ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾<sup>(١)</sup> رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً<sup>(٢)</sup> فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ<sup>(٣)</sup> وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ<sup>(٤)</sup>".  
إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل ذلك فلن يكفره، وفي رواية "ومن يعمل صالحاً فلن يكفره وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية، ما كان الناس إلا أمة واحدة ثم أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرون الناس بيقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده أولئك عند الله خير البرية، جزأهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه، وفي رواية الحاكم "قرأ فيها ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه يسأل ثانياً ولو سأل ثانياً فأعطيه يسأل ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب"<sup>(٧)</sup>.

يقول الدكتور/ لبيب السعيد<sup>(٨)</sup>: "ولعله واضح جداً أن هذه ادعاءات باطلة ضعيفة التأليف اختلق أغلبها دعاة الشيعة، وما كان إسقاط شيء من القرآن ليقع من مسلم، فضلاً عن أن يقع من ثلاثة هم من أشد المسلمين إيماناً، وأغبرهم على القرآن وأحفظهم له. والتغيير في القرآن جريمة (تخرج من الإسلام فاعلها) فكيف يقدم عليها هؤلاء الثلاثة وهم من هم على أنه من الثابت أن المسلمين - في جميع أيامهم- أولوا القرآن أصدق عناية، وأشد ضبط فكيف سكتوا عن هذا الإسقاط؟ هذا فضلاً على أن المسلمين -على مدى القرون- كتبوا ألوف الألوف من المصاحف، وزودوا بها المساجد، ودور العلم في مختلف البقاع، فلم يذكر أن مصحفاً منها زاد أو نقص عن المصحف الذي أجمع عليه المسلمون. اللهم إن هذا لهو الضلال بن السبيل".

(١) الآية (٤٠) سورة التوبة.

(٢) الآية (٢٤) سورة الصافات.

(٣) الآية (٢٥) سورة الأحزاب.

(٤) الآية (١٢٧) سورة الشعراء.

(٥) راجع: روح المعاني للآلوسي ٤٣/١-٤٥.

(٦) سورة البينة الآية (١).

(٧) روح المعاني: ٤٣/١-٤٥.

(٨) في: الجمع الصوتي: ٣٥٠-٣٥١.

## المبحث الثاني: الشبه حول الصحابة الذين جمعوا القرآن.

ومن الشبه التي أثاروها أيضاً ما يرجع إلى الكاتب الذي كتب هذا الجمع ومن ذلك: أ- يقول أبو عمرو الداني في المقنع: "... فإن قيل فما تأويل الخبر الذي رويتموه -أيضاً- عن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا نَ لَسَجْرَنَ﴾<sup>(١)</sup>، وعن ﴿الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾<sup>(٢)</sup>، وعن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فقالت: يا ابن اختي هذا من عمل الكتاب، الكتابة أخطأوا في الكتاب"<sup>(٤)</sup>.

هذه الرواية المنسوبة إلى السيدة عائشة غير صحيحة من وجوه:

**أولها:** أن راوي هذا هو أبو معاوية الضرير وقد شهد علماء الحديث أن في أقواله أحاديث مضطربة وأنه ربما دلس وأنه كان مرجئاً خبيثاً<sup>(٥)</sup>.

**وثانيها:** أن تخطئه الرسم في قوله: "والمقيمين الصلاة" خطأ في أصله لأن اللغة تجيز ذلك ولا تحظره فمن المعروف: "أن قطع النعوت أشهر في لسان العرب وهو باب واسع، فلا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب -أي كتاب سيوييه- ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتتان وخفى عليهم أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل، كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة يسدها من بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم"<sup>(٦)</sup>، ثم إنه لا يصعب تخريج النصب الذي يقرأ به الجمهور على المدح، والتقدير: أي: أمدح وأقدر المقيمين الصلاة<sup>(٧)</sup>.

وعليه قول الخورنق:

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معتـرك والطيبين معاقـد الأزر

فنصبت الطيبين على المدح فكأنها قالت أعني الطيبين<sup>(٨)</sup>.

(١) من الآية (٦٣) سورة طه.

(٢) من الآية (١٦٢) سورة النساء.

(٣) من الآية (٦٩) سورة المائدة.

(٤) ينظر: المقنع للداني: ١٢١-١٢٢.

(٥) العلل ومعرفة الرجال بن حنبل: ٢٤١/١، وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: ١٣٨/٩-١٣٩.

(٦) البحر: ٣٩٥-٣٩٦ بتصرف.

(٧) المواهب الفتحية للشيخ: حمزة فتح الله ٨٢/٢.

(٨) راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ٢٧٦.



**وثالثها:** أن قراءة (والصابئون) بالواو موافقة للغة تماماً فالنحويون يقررون أنها مرفوعة على الابتداء والخبر محذوف، والنية به التأخير عما في حيز (إن)، من اسمها وخبرها كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنجارى حكمهم كذا... والصابئون حكمهم كذلك، وعليها قول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

كأنه قال: بغاة ما بقينا وأنتم<sup>(١)</sup>.

**ورابعها:** أن قوله: (إن هذان لساحران) فيه أوجه كثيرة منها: أنه جائز على لغة من يلزم المثنى الألف مطلقاً وهي لغة مشهورة لكثافته، وقيل لغة بلحارث بن كعب يقولون: مررت برجلان، وقبضت درهماً وجلست بين يديه وعليها قول الشاعر:

واها لسلمى ثم واها واها يا ليت عيناها لنا وفاهـا

وموضع الخخال من رجلاها بثمان يرضى به أباهـا

إن أباهـا وأبـا أباهـا قد بلغا في المجد غايتها<sup>(٢)</sup>

وكذا قوله:

تـزود منا بين أذناه طعنة دعتـه إلى هابي التراب عقيم<sup>(٣)</sup>

ومنها: أن اسم إن ضمير الشأن محذوفاً، إلا أن ساحران خبر مبتدأ محذوف والتقدير لهما ساحران.

ومنها أيضاً: أن اسم إن ضمير الشأن محذوفاً، والجملة مبتدأ وخبر خبر إن.

ومنها أيضاً: أن (إن) هنا بمعنى نعم: أي نعم هذان ساحران<sup>(٤)</sup>.

وغير ذلك من التخريجات اللغوية التي أوردها النحاة لتأكيد صحة هذه القراءة.

إلا أن الداني الذي أورد الرواية استبعد على السيدة عائشة ذلك يقول: ".... وذلك أن عروة لم يسأل عائشة فيه عن حروف الرسم الذي تزداد فيه لمعنى وتتنقص منها لآخر تأكيداً للبيان وطلباً للخفة، وإنما سألتها فيه عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التي أذن الله عز وجل لنبيه عليه السلام ولأمته في القراءة بها وللزوم على ما شاءت منها تيسيراً لها، وتوسعه عليها، وما هذا سبيله وتلك حاله فعن اللحن والخطأ والوهوم والزلل بمعزل لفشوه في اللغة ووضوحه في قياس العربية.

وإذا كان الأمر في ذلك كذلك فليس ما قصدته فيه بداخل في معنى المرسوم، ولا هو من سببه في شيء، وإنما سمي عروة ذلك لحناً، وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ على جهة الاتساع

(١) الكتاب لسبويه: ٢٩٠/١، رسم المصحف د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي: ١١٠.

(٢) ينظر: الإنصاف ١٨/١، مغني اللبيب ١٢٢/١، ٢١٦، خزنة الأدب ٤٥٥/٧.

(٣) ينظر: شرح المفصل لابن يعين ١٢٨/٣، اللسان (هـ.ب.ا) مشكل إعراب القرآن ٤٦٦/٢، شذور الذهب ٤٧.

(٤) ينظر: الجنى الداني للمراي: ١٣٣، الخصائص لابن جني ١٨/٢، مجاز القرآن لأبي عبيد ٢١/٢، معاني القرآن للزجاج ٣٦٢/٣، شرح المفصل ٢٨/٣ والموضح ٨٣٦/٢ - ٨٣٨. مغني اللبيب ٦٥/٢٠٦.

في الإخبار، وطريق المجاز في العبارة إذا كان ذلك مخالفاً لمذهبها وخارجاً عن اختيارها، وكان الأوجه والأولى عندهما، والأكثر والأفشى لديهما لا على وجه الحقيقة والتحصيل فالقطع لما بيناه من قبل من جواز ذلك وفضوه في اللغة واستعمال مثله في قياس العربية مع انعقاد الإجماع على تلاوته كذلك دون ما ذهب إليه....

على أن السيدة أم المؤمنين -رضي الله عنها- مع عظيم محلها، وجليل قدرها، واتساع علمها ومعرفتها بلغة قومها لحتت الصحابة وخطأت الكتبة وموضعهم في الفصاحة والعلم باللغة موضعهم الذي لا يجهل ولا ينكر، هذا ما لا يسوغ ولا يجوز، وقد تأول بعض علمائنا قول أم المؤمنين: **أخطأوا في الكتاب: أي أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه لا أن الذين كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز، لأن ما لا يجوز مردود بإجماع وإن طال مدة وقوعه وعظم قدر موقعه، وتأول اللحن أنه القراءة واللغة كقول عمر رضي الله عنه: أبي أقرأنا وإنما لندع بعض لحنه أي قراءته**<sup>(١)</sup>.

ب- أورد الطبري في جامعه: عن أبي، وابن عباس، وسعيد بن جببر، فيما ادعت بعض الروايات **"أن قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾**<sup>(٢)</sup> أصلها (حتى تستأذنوا) ولكن وقع خطأ أو وهم من الكاتب"<sup>(٣)</sup>.

يا للعجب!!! كأن الكاتب لا يراعى أبسط قواعد الكتابة؟ ولكنها الروايات الملققة التي تحاول النيل من هذا الدين الحنيف. ولكن هيهات!

هذه الرواية المذكورة عقب عليها الطبري نفسه بقوله: "وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها "حتى تستأذنوا" وصح الإجماع منها من لدن مدة عثمان، فهي التي لا يجوز خلافها، وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس، وقد قال الله عز وجل: **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**<sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**<sup>(٥)</sup>.

وأورد القرطبي في جامعه قريباً من ذلك وحثه وجودها في جميع المصاحف أيضاً<sup>(٦)</sup>. وذهب أبو حيان إلى أن هذا إلحاد في الدين يقول: "من روى عن ابن عباس أنه قال ذلك فهو طاعن في الإسلام، ملحد في الدين، وابن عباس بريء عن هذا القول"<sup>(٧)</sup>.

(١) نقلاً عن: المقنع للداني: ١٢١-١٢٢.

(٢) الآية (٢٧) سورة النور.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢١٣/٢-٢١٤.

(٤) الآية (٤٢) سورة فصلت.

(٥) الآية (٩) من سورة الحجر وينظر: جامع البيان: ٢١٣/٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٤/١٢.

(٧) في البحر: ٤٤٥/٦.

ومما ينفي هذا القول عن ابن عباس وغيره أن "تستأنسوا" متمكنة في المعنى، بينة الوجه في كلام العرب، وقد قال عمر للنبي - صلى الله عليه وسلم - : أستأنس يا رسول الله؟ وعمر واقف على الباب، وذلك يقتضى أنه طالب الأئس به - صلى الله عليه وسلم - فكيف يخطئ ابن عباس رسول الله في مثل هذا؟<sup>(١)</sup>.

وفات هؤلاء أن الأصل في نقل القرآن الكريم هو الرواية والتلقي عن الشيخوخ بالنقل الصحيح المتواتر ولم تكن الكتابة مصدرأ من مصادر هذا النقل الذي تحرى فيه العلماء أدق الوجوه.

يقول الدكتور/ لبيب السعيد: "وعندي أن أقوى ما يدحض هذه الرواية وأمثالها هو ما أشرت إليه قبلاً من أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب، ولم تكن من الكتابة في المقام الأول وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقي الشفوي المتواتر وهو خالٍ هنا من ذلك الاختلاف المزعوم"<sup>(٢)</sup>.

ج- زعموا أن ابن عباس قرأ: (أفلم يتبين الذين كفروا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) فقيل إنها في المصحف "أفلم يئأس الذين آمنوا" فأجاب: **أظن الكاتب كتبها وهو ناعس**<sup>(٣)</sup>.

وأورد الرازي في تفسيره ما نسب إلى علي وابن عباس رضي الله عنهما من أنهما كانا يقرآن "أفلم يئأس الذين آمنوا" فقيل لابن عباس: "أفلم يئأس" فقال: **أظن أن الكاتب كتبها وهو ناعس**: إنه كان في الخط "يئأس" فزاد الكاتب سنة واحدة فصار "يئأس" فقروا "يئأس"<sup>(٤)</sup>.

وهذه الشبهة تنطوي على خطر عظيم إذ إنها تهدم القرآن هدماً كاملاً وتجعله محل تحريف وتصحيف.

ويعلق الرازي على هذه الرواية قائلاً: "وهذا القول بعيد جداً لأنه يقتضى كون القرآن محلاً للتحريف والتصحيف، وذلك يخرج عن كونه حجة"<sup>(٥)</sup>، هذا ونحن مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ذلك، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان منقلباً بين أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله، المهتمين به لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي عليها البناء؟

هذا والله فرية ما فيها مرية<sup>(٦)</sup>!!!!

وقد وصف أبو حيان قائل هذا بأنه زنديق ملحد<sup>(٧)</sup>، افتري على الصحابة وعلى ابن عباس ما هم منه براء ونسب إليهم ما لم يقولوه ولم يعرفوه، كيف وهم المنقون لفنون القول، وهذه المسألة

(١) جامع البيان: ٢١٤/٢.

(٢) في: الجمع الصوتي: ٣٣٨.

(٣) الإتيان للسيوطي: ١٨٥/١.

(٤) في: مفاتيح الغيب: ٥٣/١٩.

(٥) السابق.

(٦) من كلام الزمخشري في: الكشاف: ٤٠٩/١.

(٧) في البحر: ٣٩٣/٥.

خاصة قد وقع فيها سؤال من نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر لابن عباس تؤكد أنه كان يقرأها كما هي في المصحف.

ففي الإتيان: "... بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما علم له به فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فساق نافع مسائل كثيرة منها: قال نافع: أخبرني عن قوله تعالى: (ألم ييأس الذين آمنوا)، قال: ألم يعلم بلغة بنى مالك، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت مالك بن عوف يقول: لقد يأس الأقباط أنني أنا ابنه... وإن كنت عن أرض العشييرة نائياً<sup>(١)</sup>

تلك الرواية الموثقة التي تؤكد أن سيدنا عبد الله بن عباس كان يعلم أنها ييأس تنفى ما ورى عنه من أن الكاتب زاد سنة وهو ناعس أو سوى أسنان السنين كما يقولون، مما يؤكد أن هذه الرواية مزيفة أصلاً لغرض مسموم.

د- ومن ذلك ما نسب إلى ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورٍ كَمِشْكَاةٍ﴾<sup>(٢)</sup> أنه قال هي خطأ من الكاتب هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة إنما هي "مثل نور المؤمن كمشكاة"<sup>(٣)</sup>.

وهذه الرواية كسابقتها في التزييف والتزوير لأن نسق الآية لا يفيد أن المقصود بالتشبيه هو نور المؤمن لأن ما قبلها ذكر المشبه وهو لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقد أجاب بعض العلماء عن هذا وأمثاله بأن المراد هو أن الكتاب أخطأوا في الاختيار وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة، لا أن الذي كتب خطأ خارج عن القرآن<sup>(٤)</sup>، وهذه العلة يقول عنها د/ليبب السعيد بأنها إجابة متهافئة لا تكشف تماماً عن وجه الحق فالكتاب لم يكتبوا إلا ما تواتر، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة وكان عملهم على ملاء من المسلمين وكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين<sup>(٥)</sup>.

ه- ومن أغرب تلك الشبه ما نسب إلى ابن عباس أيضاً من أنه كان يقول، في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾<sup>(٦)</sup>، إنما هي: (ووصى ربك)، التزقت الواو بالصاد<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر للسيوطي ١٥٨/١ ط دار المعرفة.

(٢) الآية (٣٥) سورة النور.

(٣) الإتيان: ١٨٥/١.

(٤) السابق.

(٥) الجمع الصوتي ٣٣٩.

(٦) الآية (٢٣) سورة الإسراء.

(٧) الإتيان: ١٨٤/١.

وروي عنه أيضاً بلفظ: "استمد الكاتب مداداً كثيراً، فالتزقت الواو بالصاد". وقيل إنها في مصحف ابن مسعود ووصى، وهكذا عند علي وعند أبي بن كعب<sup>(١)</sup>، وعزوا أيضاً إلى الضحاك أنه قال: تصحفت على قوم (وصى) ب (قضى) حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتب المصحف<sup>(٢)</sup>. وقد رد الرازي تلك الأقوال جميعها خوفاً من فتح باب التحريف والتصحيف في القرآن. فقال: "واعلم أن هذا القول بعيد جداً لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولو جاوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولاشك أنه طعن عظيم في الدين"<sup>(٣)</sup>.

ثم إنه "كيف يصح تقريظ الصحابة الكرام في ضبط القرآن العظيم، وإهمالهم في حفظ الفرقان الكريم حتى ينسوه فلا يعرفه إلا الواحد والاثنتان من الأطراف وحتى لا يوجد إلا في الأكتاف واللخاف، هذا مع شدتهم في طلب أمر الدين وبذلهم الأموال والأشباح والأرواح من مقام اليقين"<sup>(٤)</sup>. على أن الصحابة كانت لهم اليد الطولي في الاهتمام التام لتحقيق القرآن في الصدر الأول من الإسلام، وهل هذه الآية لم يحفظها أحد حتى صحفت وقرئت وقضى بدل وصى مع أن الأمر محكوم بالنقل الشفاهي طبقة عن طبقة إلى منتهاه. اللهم إن هذا لهُو الزيف الحق والضلال المبين.

ومن ذلك أيضاً ما ادعاه بعض غلاة الشيعة من أن علياً جمع القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار فلما فتحه أبو بكر "خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر، وقال: يا علي! اردده فلا حاجة فيه"، وأن عمر طلب من زيد ابن ثابت أن يسقط من القرآن هذه الفضائح، وأن عمر لما استخلف سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم فأبى علي وقال: إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، فسأله عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم؟ فأجاب علي: إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجرى أسننة به"<sup>(٥)</sup>، وهذه الرواية مدعاة باطلة والوضع ظاهر فيها من وجوه كثيرة:

١- فالقرآن عاتب النبي صلى الله عليه وسلم نفسه غير مره، ولم يخف في كلامه عن بعض الأنبياء الآخرين ما لم يحمده لهم، وقد بقي هذا فيه يحفظه المسلمون أبداً الدهر، فهل المهاجرون والأنصار أعز على المسلمين من الأنبياء فضلاً عن النبي سيدنا محمد الذي أحبوه أشد الحب، وافتدوه أخلص الافتداء؟

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/١، الإتيان: ١٨٤/١.

(٢) التعليق السابق بتمامه.

(٣) في مفاتيح الغيب: ١٨٤/٢.

(٤) شرح العقيلة ورقة ١٦ نقلاً عن الجمع الصوتي: ٣٣٥.

(٥) ينظر: الصافي في تفسير كلام الله الوافي، للفيض محمد بن مرتضى الكاشاني ٩-١٠.

٢- وأشياء نزل بها الوحي، وبلغها النبي صلى الله عليه وسلم كيف لم يحفظها من المسلمين جميعهم غير علي؟

أ يكون النبي قد اقتصر في إبلاغ بعض الوحي على علي رضي الله عنه وحده؟ ولكن كيف؟ والنبي صلى الله عليه وسلم مرسل للناس كافة وقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة فيما يؤمن به كل المسلمين، وليس من الأمانة أبداً أن يحبس عن الناس ما نزل به الوحي ويؤثر به شخصاً واحداً. على أنه ورد في صحيح الحديث<sup>(١)</sup> "عن عائشة قالت: من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كنتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه؛ إن الله تعالى يقول: ﴿تَبَيَّنَّا لِرَسُولٍ بَيِّنَةً مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾"<sup>(٢)</sup>.

وكيف غابت هذه الأشياء حتى عن أقرب الصحابة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من مثل أبي بكر صديقه الأول، وأول من آمن به من الرجال، وثاني اثنين إذ هما في الغار، والذي ضحى ما ضحى في سبيل الرسول، وفي سبيل دعوته، والذي زوجه ابنته، والذي اختاره النبي ليؤم المسلمين -مكانه- في الصلاة، في مرضه الأخير. فاعتبروا ذلك إشارة إلى أحقيته بالخلافة بعده. كيف غابت حتى عن أبي بكر وهو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: (إن من أمم الناس على في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً)<sup>(٣)</sup>. كيف غاب شيء من القرآن حتى عن أبي بكر فلم يعرفه إلا من المصحف المزعوم حين خرجت بالصدفة "فضائح القوم" في أول صفحة فتحها.

كيف وهؤلاء القوم هم أتباع النبي، وجنوده، وأحابيه يعايشهم ويعايشونه في مجتمع لم تكن امتدت أطرافه.

٣- وهذه الرواية -إذ تنسب إلى سيدنا عمر أنه رفض قرآناً، وزور ما دعي قرآناً - ترمى عمر بالكفر الصريح، وهو ما تنقصه سيرة عمر الذي كان سماعه القرآن سبب دخوله المفاجئ في الإسلام. ٤- وتوقيت ظهور القرآن بالشكل المزعوم "إذا قام القائم من ولد علي" قول فيه الغلو في التشيع على أوضح نحو.

ثم لماذا لم يظهر القرآن على يد علي - رضي الله عنه - نفسه حين تولى الخلافة؟ وهل كان ضرورياً أن يدع التزوير قائماً بينما يظهر في المستقبل المجهول حاكم من ولده؟ وإذا لم يبادر علي -في خلافته- إلى تصحيح خطأ رآه هو نفسه في كتاب الإسلام، فأى شيء كان أحق عنده بالمبادرة<sup>(٤)</sup>.

(١) الحديث في: صحيح البخاري - كتاب التوحيد- باب: قول الله تعالى "يا أيها الرسول بلغ...": ٧٥٣١.

(٢) الآية (٦٧) سورة المائدة.

(٣) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة: ٤٦٦، ٤٦٧، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ٣٩٠٤، صحيح مسلم كتاب المساجد ٢٣، كتاب فضائل الصحابة ٧-٢.

(٤) ينظر: شرح العقيلة: علي بن سلطان القاري، ورقة ٦.

ثم لماذا لم يقرئ على أهل بيته بالشكل المزعوم وهو على ذلك - لو شاء - قدير<sup>(١)</sup>.  
والشيعة طوائف منهم المغالون ومنهم المعتدلون، فالمغالون منهم - وهم الذين قالوا بهذا الكلام -  
قد خرجوا بما قالوا عن الإسلام وهم طوائف:

أشدهم غلوًا: يقولون بإلهية علي بن أبي طالب وإلهية جماعة معه.  
وأقلهم غلوًا: يقولون: إن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين.  
فقوم هذا أقل مراتبهم في الكذب، أيسبشع منهم كذب يأتون به؟  
وكل دعوى بلا برهان فليس يستدل بها عاقل، سواء كانت له أو عليه<sup>(٢)</sup>.  
أما المعتدلون منهم فقد برئت ساحتهم -تماماً- من تلك الشبهة.

من ذلك ما قاله الطبرسي (الشيعة): "إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث  
العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته،  
وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام  
الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا -في حفظه وحمايته- الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه،  
من إعرابه، وقراءته، وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة  
والضبط الشديد"<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو جعفر الطوسي (شيعة): "وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يلق به أيضاً، لأن  
الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان فيه فالظاهر أيضاً خلافه"<sup>(٤)</sup>.

وكذلك في: نقض الوشيعة: "أما الزيادة في القرآن، فمجمع على بطلانها، وأما النقصان فروى  
جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن نقصاناً، والصحيح -من مذهب  
أصحابنا- خلافه وهو الذي نصره المرتضى والصحيح أن القرآن محفوظ عن ذلك -أي عن  
التحريف- زيادة كان أو نقصاناً ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾"<sup>(٥)</sup>.

ويقول: هادي الحسيني الملائي: "لم يطرأ على القرآن -بأي شكل- أي اختلاف في الترتيب، أو  
أي حذف أو أية إضافة، وكل جدال حول التحريف هو زائف، وصفر من الحقيقة. إن القرآن هو  
المعجزة الأبدية للنبي الكريم وقد أخذ الله -سبحانه- على نفسه ﴿جَمَعَهُ وَفَرَّأَنَّهُ﴾ وقال: ﴿وَإِنَّا لَهُ  
لَحَافِظُونَ﴾ وقال عنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾"<sup>(٦)</sup>.

تلك كانت دموع تلك الشبه الخطيرة التي تهدم أساسيات الجمع القرآني لتذهب ثانياً إلى الطعن  
في صحة كتاب الإسلام الخالد وصولاً إلى الطعن في الإسلام. والله متم نوره ولو كره الكافرون.

(١) راجع فيما سبق جميعه: الجمع الصوتي د/ليب السعيد: ٣٥٤-٣٥٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٧٨/٢ بتصرف.

(٣) في: مجمع البيان لعلوم القرآن ١٨/١.

(٤) في: البيان في تفسير القرآن ٣/١.

(٥) نقض الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: ١٩٨.

(٦) راجع فيما سبق: الجمع الصوتي للقرآن د/ليب السعيد ٣٥٧ وما قبلها.

## المبحث الثالث: جمع القرآن حسب الرغبة والتشهي:

ومن الشبه التي أثاروها أيضاً ما يظن منه أن القرآن إنما قرئ بالتشهي والرغبة، من ذلك ما يروى من: "أن أبا خلف مولى بنى جمح دخل مع عبيد بن عمير على عائشة فقال: جئت أسألك عن آية في كتاب الله تعالى، كيف كان رسول الله يقرأها؟ قالت: آية آية؟ قال: (والذين يأتون ما أتوا) أو ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾<sup>(١)</sup>،

قالت: أيتهما أحب إليك؟

قال: والذي نفسي بيده، لإحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً،

قالت: أيهما؟

قال: الذين يأتون ما أتوا،

فقلت: أشهد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذلك كان يقرأها، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء جيم أم حاء<sup>(٢)</sup>.

يقول د/ لبيب السعيد "والاستخفاف بالتواتر في هذه الرواية واضح، وكأنما كانت عائشة - رضي الله عنها - فيما يوحي به أسلوب هذه الرواية المنكرة تبتغي فحسب مرضاة سائلها، فأحب القراءتين إليه هي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرها تحريف في الهجاء.

ثم إن أم المؤمنين المنسوب إليها هذا الطعن في هجاء المصحف بغير دليل، ورد أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾: أهو الذي يزني ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى؟ فقال عليه الصلاة والسلام - لا يا ابنة الصديق؟ ولكن هو الرجل: يصلى، ويصوم، ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

فهي على خلاف ما في الرواية تقرأ الآية على النحو الذي قرأ به المسلمون منذ عهد النبوة، والذي أجمع عليه الصحابة فيما بعد عند كتابة المصحف العثماني.

وقيل إن ابن عباس، والنخعي قرأ: "والذين يأتون ما أتوا" مقصوراً من الإتيان، ويرر الفراء هذه القراءة فقال: لو صحت هذه القراءة لم تخالف قراءة الجماعة لأن الهمز يلزم فيه الألف في كل الحالات إذا كتب فتكتب (سئل الرجل) بألف بعد السين، و(يستنهزون) بألف بين الزاي والواو، و(شيء) بألف بعد الياء فيحتمل هذا اللفظ -بالبناء على هذا الخط- قراءتين.... وأظن أن الفراء تكلف في دفاعه، وكان حسبه أن يرى ما في الرواية من دلائل الوهن، وأن يعلم أن عائشة قرأتها كما يقرأها سائر المسلمين، ومن ثم فالخلاف غير ذي موضوع<sup>(٤)</sup>.

(١) الآية (٦٠) سورة المؤمنون.

(٢) ينظر: الإتيان ١/١٨٤.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٠٧/٢٣، القرطبي: ١٣٢/١٢.

(٤) في: الجمع الصوتي له: ٣٣٧.



و- ومن تلك الشبه بل لعله أهمها ما نسب إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ففي المقنع: "أن المصاحف لما نسخت عرضت عليه -أي سيدنا عثمان- فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال: ارتكوها فإن العرب ستقيمها، أو ستعربها بلسانها"<sup>(١)</sup>، زاد: "لو كان الكاتب من ثقيف، والمملى من هذيل لم توجد هذه الحروف"<sup>(٢)</sup>.

وظاهر هذا يدل على أن خطأ حدث في الرسم المصحفي، وأمر سيدنا عثمان بتركه ليصلحه من يأتي بعده من العرب يوماً ما.

وقد فند الداني ذلك بقول: "قلت هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة، ولا يصح به دليل من جهتين: إحداهما: أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل، لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً ولا رأياه، وأيضاً فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان رضي الله عنه لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين، ومكانه من الإسلام، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة، واهتبا له فيما فيه الصلاح للأمة فغير متمكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الاتقياء الأبرار نظراً لهم ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحناً وخطأ يتولى تغييره من يأتي بعده ممن لاشك أنه لا يدرك مداه، ولا يبلغ غايته، ولا غاية من شاهده، هذا ما لا يجوز لقاتل أن يقوله، ولا يحل لأحد أن يعتقده"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الألويسي: "... وأما قول عثمان: أن في القرآن لحناً... الخ فهو مشكل جداً إذ كيف يظن بالصحابة أولاً: اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن وهم من هم؟ ثم كيف يظن بهم ثانياً: اجتماعهم على الخطأ وكتابته، ثم كيف يظن بهم ثالثاً عدم التنبه والرجوع، ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره وكيف يتركه لتقييمه العرب، وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمهم غيرهم؟ فلعمري إن هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة فالحق إن ذلك لا يصح عن عثمان، والخبر ضعيف مضطرب منقطع"<sup>(٤)</sup> اهـ.

وكلام الألويسي قريب جداً مما ذكره السيوطي ومما جاء فيه "إنه لم يكتب مصحفاً واحداً بل كتب عدة مصاحف: فإن قيل: إن اللحن وقع في جميعها، فبيد اتفاقهم على ذلك، أو بعضها، فهو اعتراف بصحة البعض، ولم يذكر أحدٌ من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف قط مختلفة إلا فيما هو من وجوه القراءة، وليس ذلك بلحن.

وعلى تقدير صحة الرواية فذلك محمول على الرمز والإشارة، ومواضع الحذف نحو (الكتاب، والصابرين) وما أشبه ذلك.

وأيضاً فذلك مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها، كما كتبوا: (لا أوضاعوا)، و(لا أنبجنه) وأشبه ذلك مما لو قرئ بظاهر الخط لكان لحناً"<sup>(٥)</sup>.

(١) لأبي عمرو الداني: ١١٩.

(٢) السابق وقارن ب: الإتيان ١/١٨٣.

(٣) في: المقنع: ١١٩.

(٤) في: روح المعاني: ١/٥٤.

(٥) الإتيان للسيوطي: ١/١٨٣.

ووجه ذلك كما يقول الداني أنه "لو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط لصير الإيجاب نغياً، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله فأتى من اللحن بما لا خفاء به على من سمعه مع كون رسم ذلك جائزاً مستعملاً فأعلم عثمان رضي الله عنه إذ وقف على ذلك، أن من فاتته تمييز ذلك، وعزيت معرفته عنه ممن يأتي بعده سياًخذ ذلك عن العرب إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم فيعرفونه بحقيقة تلاوته، ويدلونه على صواب رسمه"<sup>(١)</sup>. ومما يؤكد على عناية سيدنا عثمان - رضي الله عنه - بالمراجعة والتدقيق وأنه لم يترك شيئاً إلا وتابعه ما يلي:

"يقول عبد الله بن هانئ مولى سيدنا عثمان: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي كعب فيها "لم يتسن" وفيها "لا تبديل للخلق" وفيها "فأمهل الكافرين" قال: فدعا بالدواة، فمحا أحد اللامين فكتب "خلق الله"، وكتب "فمهل" وكتب "لم يتسنه" ألحق فيها الهاء، قال ابن الأنباري فكيف يدعى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه وهو يوقف على ما كتب، ويرفع إليه الخلاف الواقع عن الناسخين ليحكم بالحق ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده؟"<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد علق الأستاذ الدكتور/ محمد حسن جبل على ما سبق بقوله: "بناءً على افتراض صحة الرواية وافتراض أن كلمة لحن تعنى خطأ إنه لا عجب في غياب هذه الوجوه عن سيدنا عثمان فإن اللغة العربية عظيمة الاتساع في المذاهب أي صور التعبير وأساليب الكلام كما أنها أكثر اللغات ألفاظاً متاحة الاستعمال بحيث قد يذهب شيء من الألفاظ أو الأساليب على من هو من أهلها، يؤكد قول الشافعي "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي" ثم قرر ما خلاصته أنه قد يند الشيء من اللغة عن بعض العرب لكن هذا الناد لا بد أن يوجد العلم به عند آخرين"<sup>(٣)</sup>.

أما عن الشق الآخر الوارد عن الداني في كلام سيدنا عثمان وهو قوله: "لو كان الكاتب من تقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف"، شرحه الداني بأن "معناه أي لم توجد فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعاني دون الألفاظ المخالفة لذلك، إذ كانت قریش ومن ولي نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك في كثير من الكتابة وسلوكوا فيها تلك الطريقة، ولم تكن تقيف وهذيل مع فصاحتها يستعملان ذلك، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرسمتا جميع تلك الحروف على حال استقرارها في اللفظ ووجودها في المنطق دون المعاني والوجوه، إذ ذلك هو المعهود عندهما والذي جرى عليه استعمالهما"<sup>(٤)</sup>.

(١) المقتنع: ١٢٠.

(٢) الإتيان ١٨٣/١ وقارن بـ الجمع الصوتي ٣٤٦ وما بعدها: ففيها اعتراض على تلك الرواية عن عبد الله بن هانئ.

(٣) في دفاع عن القرآن الكريم: ٨٨ وما بعدها (بتصرف).

(٤) المقتنع: ١٢٠.

إن عمل عثمان - المتمثل في عدم إعادة النظر في رسم المصحف هو الذي - أتاح بفضل الله تعالى إبقاء هذا الرسم على ما هو عليه بخاتم عثمان إلى يومنا هذا، ولو أنه فتح باب مراجعة الرسم لظهرت عشرات الوجوه التي تقترح ما تظنه تصحيحات، ثم كان يمكن ألا يتم رسم نسخة معتمدة للمصحف أصلاً نتيجة للخلافات، ولو تم لصار سماح عثمان بالمراجعة سابقة يتكأ عليها لإعادة كتابة المصحف حسب الوجوه المختلفة في مجال النحو وفي مجال رسم المصحف وفي مجال القراءات، ولما وصل إلينا المصحف بصورته الموحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبداً<sup>(١)</sup>.

على أن هناك من فسر لفظ اللحن في كلام عثمان بأن المراد به اللهجة لا الخطأ. ففي مناهل العرفان أن المراد بكلمة لحن القراءة واللغة وعليه فالمعنى "أن في القرآن ورسم المصحف وجهاً في القراءة لا تلين به السنة العرب جميعاً، ولكنها لا تلبس أن تلين به أسنتهم جميعاً بالمران وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه.

إن من المرجح أن عثمان رضي الله عنه إنما أراد بكلمة لحن في تعليقه ما يسمى لهجة أو سنة من السنن غير الشائعة في الكلام العربي، وأنه كان يفضل أن تكون كتابة المصحف بلغة قریش وهي اللغة العامة واللسان الجاري عند كل العرب.

ثم إن سكوت الصحابة - رضوان الله عليهم - وقد كان جمهورهم من العرب الخالص الذين يشعرون سلبياً بما يقع في الكلام من خطأ على رسم العبارات القرآنية، بما رسمت عليه في المصاحف التي اعتمد عثمان كلاً منها إماماً للقطر الإسلامي الذي أرسل إليه هو مرجح آخر قوى على أن المراد باللحن في تعليق عثمان هو اللهجة وما إليها، لأنه لو كانت هذه الصياغات خطأ ما سكتوا<sup>(٢)</sup>. ز - ومنها أيضاً ما نسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من أنه قال رأيت كتاب الله يزداد فيه.

ففي الإتيان "من طريق ابن سيرين قال: قال علي - رضي الله عنه -: لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آيت ألا آخذ على رداي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعه. وورد من طريق أخرى أخرجه ابن الضريس في فضائله: حدثنا بشر بن موسى، حدثنا هودة بن خليفة، حدثنا عون عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي؟ قال لا والله، قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزداد فيه فحدثت نفسي أن لا ألبس رداي إلا لصلاة حتى أجمعه. قال له أبو بكر فإنك نعم ما رأيت"<sup>(٣)</sup>.

(١) دفاع عن القرآن الكريم أ. د/ جبل، ٩٠ بتصرف.

(٢) بتصرف من دفاع عن القرآن ٩١-٩٢ أ. د/ جبل.

(٣) الإتيان للسيوطي ٧٧/١، المصاحف لابن أبي داود ١٠/١.

وهذه الرواية لا تصح؛ إذ أن بعض طرقها - وهو ما أخرجه أبو داود عن طريق ابن سيرين ضعيف، وبعض طرقها وهو ما أخرجه غير واحد من رواية أبي حيان التوحيدي موضوع أصلاً، أما الذي صح- كرواية ابن الضريس في فضائل علي رضي الله عنه فمحمول على الجمع في الصدر -أي على الحفظ عن ظهر قلب- وقيل كان جمعاً بصورة أخرى لغرض آخر، ويؤيده أنه قد كتب فيه الناسخ والمنسوخ فهو ككتاب علم<sup>(١)</sup>.

على أن السجستاني في المصاحف يقول: "لم يذكر لفظ المصحف في كلام علي رضي الله عنه أحدًا، إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما قال: حتى أجمع القرآن، يعني أتم حفظه"<sup>(٢)</sup>.  
ويقرر السيوطي أن هذا الكتاب -الذي جمعه علي رضي الله عنه- لا وجود له أصلاً فقد نقل أن ابن سيرين قال: "تطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه"<sup>(٣)</sup>.

على أن هذا يعارض ما ورد صحيحاً عن ارتضاء سيدنا علي رضي الله عنه لهذا الجمع فقد "أخرج بن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة عنه: "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا على ملاء منا" وفي رواية "لو وليت لعملت بالمصحف الذي عمله عثمان"<sup>(٤)</sup>.

وفي ارتضاءه جمع أبي بكر يقول: "أعظم الناس في المصاحف أجراً: أبو بكر رضي الله عنه رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللوحين"<sup>(٥)</sup>.  
هذا مع أن الجمعيين-البكري والعثماني- تاليان في تاريخهما لبيعة أبي بكر فالزيادة المزعوم أن علياً رآها لقيت -لو كانت وقعت- ما منعها منعاً<sup>(٦)</sup>.

(١) روح المعاني ٤١/١-٤٢، المصاحف لابن أبي داود ١٠/١، الإتيان ٧٧/١.

(٢) ابن أبي داود ١٠/١، فضائل القرآن لابن كثير ٢٥.

(٣) الإتيان ٧٧/١، الجمع الصوتي: ٤١.

(٤) روح المعاني ٤١/١-٤٣، المصاحف ٥/١.

(٥) الإتيان ٨٠/١ وقارن بما ورد في التعليق السابق.

(٦) نقلاً عن: الجمع الصوتي: ٣٤٨.

## المبحث الرابع: الشبه المتعلقة بعدد سور القرآن وترتيبها:

ومن تلك الشبه أيضاً ما يرجع إلى ترتيب سور القرآن الكريم حيث اختلف الترتيب بين مصاحف الصحابة ومصحف عثمان وكذلك اختلف في عدد السور

ففي الإتيان: "أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنان عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين وفي مصحف أبي ست عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحذف والخلع"، وكذا اختلف في ترتيب السور<sup>(١)</sup>. كل هذه الاختلافات كانت مدعاة لطعن من يطعن في الإسلام، والصحيح من ذلك كله أن ترتيب القرآن ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من أي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، ولا آخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أي كل سورة، ومواضعها، وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة<sup>(٢)</sup>.

على أن ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب<sup>(٣)</sup>".

والقرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته فبين جملة وآية وسورة تناسب بارع، وارتباط محكم، وائتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجماً على السنين والشهور والأيام<sup>(٤)</sup>.

وقد لاقت هذه الشبهة رواجاً منذ القدم ولأن بين المستشرقين والعرب على السواء، فقد رتب (تيودورنولدكه) القرآن تبعاً لما رتبته أبو القاسم عمر بن محمد ابن عبد الكافي من رجال القرن الخامس<sup>(٥)</sup>، وغيره وفي الحديث ظهرت دعوة تطالب بترتيب سور القرآن، على حسب نزولها، من سورة العلق ثم المزمّل ثم المدثر ثم الفاتحة، وهكذا حتى يختم بسورة النصر<sup>(٦)</sup>.

(١) راجع: الإتيان ٨٦/١.

(٢) الانتصار للباقلاني ٦١.

(٣) نقلاً عن: الإتيان ٨٢/١.

(٤) مناهل العرفان للزرقاني ٧٣.

(٥) راجع: تاريخ القرآن للزنجاني ٧١.

(٦) تقدم بهذه الدعوة (يوسف راشد) بوزارة العدل في رسالة عنوانه (رتبوا القرآن كما أنزله الله)، ينظر: كنوز القرآن عدد أكتوبر ونوفمبر ١٩٥١.

وتضمنت هذه الدعوى قولاً جريئاً خطيراً هو أن ترتيب القرآن - في وضعه الحالي - يبلبل الأفكار، ويضيع الفائدة المطلوبة من نزول القرآن، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعي الذي روعي في النزول، ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة، لأن القارئ إذا تنقل من سورة مكية إلى سورة مدنية اصطدم صدمة عنيفة وانتقل - بدون تمهيد - إلى جو غريب غير الجو الذي كان فيه<sup>(١)</sup>.

هذا وقد كتب الدكتور/ محمد عبد الله دراز تقريراً عن تلك الدعوة رفعه إلى إدارة الأزهر كان فيه: أ- إن ترتيب السور توقيفي، على ما يقرره جمهور العلماء ولم يخالف سني ولا شيعي في التزام هذا الوضع الذي كان عليه المصحف من أول يوم.

ب- وأن احترام قدسية الوضع المأثور يقضى بالمحافظة على النسق القائم الآن في الآيات والسور جميعاً.

ج- وأن تغيير الترتيب يفتح مجال الشبهة، أمام العصور المقبلة فيقول قائل منهم: إنه لم تبق لنا ثقة بأن هذا الكتاب بقي في كل العصور، بعيداً عن كل تبديل، لأنه في عصر ما غيرت أوضاع السور فيه فعله قد أصابته تعديلات أخرى لم تصل إلينا أنباؤها.

د- وأن هذه الدعوة خارقة لإجماع المسلمين، ويحرف بها الكلم عن مواضعه التي وضعه الله فيها، ولن يكون من ورائها إلا إفساد النسق وتشويه جماله<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك ما يقوله بروكلمان في حديثه عن جمع عثمان - رضي الله عنه - : "إن زيدا رتب السور حسب طولها وابتدأ بأطولها، بعد الفاتحة التي وضعها على رأس السور كلها وعلى هذا المنوال، جمع القرآن أيضاً أبي بن كعب، والمقداد بن عمرو وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري"<sup>(٣)</sup>.

وهذا الادعاء باطل شكلاً وموضوعاً لما أسلفنا قبل.

ومن تلك الشبه أيضاً: ما يقوله الميمونية من الخوارج العجاردة، على ما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى "من أن سورة يوسف ليست من القرآن، وإنما هي قصة من القصص، ومن أدخلها في القرآن فقد زاد فيه ما ليس منه"<sup>(٤)</sup>.

أمثل هذا يقال في القرآن ولكن الشيء من معدنه لا يستغرب أو كل إناء بما فيه ينضح كما يقولون فهذه الفرقة كما يقول الأشعري: "زادوا على كفرهم في القدر نوعاً من الضلالات المجوسية من حيث إباحة الزواج من بنات الأبناء والبنات، ومن بنات الإخوة والأخوات"<sup>(٥)</sup>.

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) أنظر نص التقرير الذي تقدم به الدكتور/ محمد عبد الله دراز - رحمه الله - إلى إدارة الأزهر في مجلة كنوز الفرقان التي كانت تصدر عن الاتحاد العام للقراء برئاسة الشيخ على محمد الضباع، عدد، أكتوبر ونوفمبر: ١٩٥١م، نقلًا عن: الجمع الصوتي: ٣٥٩-١٣٦٠.

(٣) في: تاريخ الأدب العربي ١٤٠/١ ترجمة د/ عبد الحلیم النجار.

(٤) ينظر: صبح الأعشى ٢٢٣/١٣.

(٥) في مقالات الإسلاميين ١/١٦٤، وينظر: الفرق بين الفرق للإسفرائيني ٢٤، ٩٦، ٢٨١.

وعليه فلا يستغرب عنهم إنكارهم لبعض القرآن، فهم بأقوالهم السابقة قد خرجوا من الإسلام أصلاً. هذا إلى جانب قصر نظرهم في إعجاز القرآن في نظمه فهذه السورة هي: كباقي القرآن لغة وأسلوباً ومقاصد، وهي كباقي القرآن أيضاً تتحدى البلغاء أن يأتيوا بمثلها فلا يستطيعون، وهي أيضاً كباقي القرآن ثابتة بالنقل الصحيح المتواتر<sup>(١)</sup>.

ومن الشبه القاذحة أيضاً -وهي خطيرة- ما قيل من أن مصحفاً من مصاحف عثمان - رضي الله عنه - أدق من بقية المصاحف.

ففي المصاحف لابن أبي داود منسوباً إلى إبراهيم النخعي أنه قال: "قال لي رجل من أهل الشام: مصحفنا ومصحف أهل البصرة أضبط من مصحف أهل الكوفة، قلت: لم؟ قال: لأن عثمان بعث إلى الكوفة -لما بلغه من اختلافهم- بمصحف قبل أن يعرض، وبقي مصحفنا ومصحف أهل البصرة حتى عرضا"<sup>(٢)</sup>

وكذلك ورد ما يستفاد منه، أن القراءات متفاوتة القدر كأنها ليست نقلاً خالصاً، وأن إحداها أحب إليهم من غيرها وأن لكل قراءة خصيصة مرجعها صاحب القراءة<sup>(٣)</sup>.

ففي غاية النهاية روى ابن الجزري عن أبي العباس الطنفاشي البغدادي أنه قال: "من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبي عمرو، ومن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير، ومن أراد أفصح القراءات فعليه بقراءة عاصم، ومن أراد أغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر، ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة، ومن أراد أطرف القراءات فعليه بقراءة الكسائي، ومن أراد السنة فعليه بقراءة نافع"<sup>(٤)</sup>.

وهذا خطأ جسيم ما كان ينبغي لقائله أن يقوله، فلا شك أن كون قراءة أحسن من قراءة، وأن قراءة هي الأصل وغيرها ليس أصلاً، وأن قراءة أفصح وأخرى فصيحة، وقراءة غريبة وغيرها أقل غرابة، أو ليست غريبة، وقراءة هي الأثر، وما عداها ليس أثراً، وقراءة هي أطرف من قراءة، وقراءة هي السنة وغيرها أقل منها سنينة، لاشك أن ذلك قول خطير.

ولم يسلم من هذا الأئمة الأعلام في اللغة والقراءات من ذلك ما ذكره مكي بن أبي طالب ناهجاً نفس المنهج السابق في المفاضلة بين القراءات "وأصح القراءات سندا: نافع وعاصم، وأفصحها: أبو عمرو والكسائي"<sup>(٥)</sup>.

وقد وقع في كتب التفسير كثيراً من تلك العبارات التي توحى بالمفاضلة بين القراءات<sup>(٦)</sup>.

(١) الجمع الصوتي: ٣٥٢ بتصرف.

(٢) ينظر: المصاحف للسجستاني ٣٥/٢، وراجع: فتح الباري لابن حجر ١٧/٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٤٣/١، وغيرها.

(٤) غاية النهاية ٧٥/١.

(٥) راجع قول مكي في الكشف باب السند.

(٦) من ذلك ما ذكره الطبري كثيراً في جامع البيان وغيره من المفسرين الذين لم تخلوا كتبهم من ذلك.

هذا ولو سلمنا -جدلاً- بصحة ذلك لكننا ممن يعمل الاجتهاد في القرآن، وهو ما لا يجوز فيه الاجتهاد، فالقراءات توقيفية، وليست اختيارية، وإلا وجد الشك والوهم سبيلهما إلى القرآن. على أن علماءنا قد فرقوا بين الأمر في القراءات والكلام العادي. فعن ثعلب أنه قال: "إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضل إعراباً على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى"<sup>(١)</sup>.

ويقول النحاس "السلامة عند أهل الدين -إذا صحت القراءتان- أن لا يقال: إحداهما أجود، لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيأثم من قال ذلك"<sup>(٢)</sup>. ومن المعلوم أن القراءة سنة متبعة وأن أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة أو الأقيس في العربية، والقراءة إذا صحت عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة يلزم قبولها والمصير إليها"<sup>(٣)</sup>.

### الخاتمة:

وبعد هذه المدافعة والنقض لتلك الشبه الواهية تخلص الدراسة إلى نتائج منها:

- أن الكتب السابقة جيء بها على التوقيت لا على التأييد، وأن القرآن جيء به مصداقاً لما بين يديه من الكتب، ومهميناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته وكان ساداً مسدها ولم يكن شيئاً منها ليسد مسده.
- والحق أن لهذا الجمع فضلاً كبيراً فقد تدارك -في وقت مبكر- كل الأصول التي كتب فيها القرآن وأفاد منها قبل أن يتفرق منها شيء، أو يضيع، أو تعدو عليه عوامل البلى.
- أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب، ولم تكن من الكتابة في المقام الأول وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقي الشفوي المتواتر.
- أن الكتاب لم يكتبوا إلا ما تواتر، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة وكان عملهم على ملأ من المسلمين وكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين.
- قد يند الشيء من اللغة عن بعض العرب لكن هذا الناد لا بد أن يوجد العلم به عند آخرين.
- أن عمل عثمان -المتمثل في عدم إعادة النظر في رسم المصحف هو الذي- أتاح إبقاء هذا الرسم على ما هو عليه إلى يومنا هذا، ولو أنه فتح باب المراجعة لظهرت عشرات الوجيهات التي تقترح ما تظنه تصحيحات، ثم كان يمكن ألا يتم رسم نسخة معتمدة للمصحف أصلاً نتيجة

(١) راجع السيوطي في الإتقان ٨٣/١.

(٢) السابق وقارن ب: الجمع الصوتي د/ لبيب السعيد: ١٥٠.

(٣) عبارة الداني في جامع البيان ورقة ٦٥ وأ عنه في النشر ١٠/١-١١.



للخلافات، ولو تم لصار سماح عثمان بالمراجعة سابقة يتكاً عليها لإعادة كتابة المصحف حسب الوجيهات المختلفة في مجال النحو، ورسم المصحف، والقراءات، ولما وصل إلينا المصحف بصورته التي كتب عليها أيام عثمان أبداً.

- أن ترتيب القرآن ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من أي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، ولا آخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أي كل سورة، وموضعها، وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة.

- والقرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته فبين جملة وآياته وسوره تناسب بارع، وارتباط محكم، وانتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجماً على السنين والشهور والأيام.

### كما أنها توصي:

- من يتصدى لدرء الشبه ودفعها أن يتصف بالحيده والتجرد والإنصاف حتى يصل إلى حكم صائب دقيق.

- برد كل الدعاوى التي تتادي بالتدخل في النص الموروث عن عمل الصحابة - رضوان الله عليهم - سواء بإعادة ترتيب سوره - حسب النزول - أو تعديل في رسمه ونظمه، أو غير ذلك ما يثار من دعاوى.

### والله خير حافظاً.....

وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق، وحبیب الحق، وآله وصحبه وسلم.

### المراجع:

الإبانه عن معانى القراءات، لمكي بن أبى طالب، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبي، ط نهضة مصر، ١٩٦٠م.

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ط محمود توفيق ١٩٣٥م، وطبعة أخرى، ط دار عالم المعرفة بدون تاريخ.

الإحكام في أصول الأحكام للأمدى، تصحيح السيد محمد البيلوي، ط القاهرة، ١٣٣٢هـ-١٩١٤م.

إرشاد المرید إلى مقصود القصید، للشيخ على محمد الضباع، القاهرة، ط صبيح ١٩٦١م.

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط الحلبي ١٩٦١م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لابن الأنباري، تحقيق الشيخ/ محمد محى الدين عبد الحميد، ط القاهرة، المكتبة التجارية ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

- البحر المحيط في تفسير القرآن، لأبي حيان الأندلسي (8 أجزاء)، ط السعادة 1328هـ.
- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، ط جدة 1365هـ.
- تاريخ القرآن، د/ عبد الصبور شاهين. مطبعة السعادة 1995م
- تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم: تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا، ط المنار 1353هـ.
- تفسير القرآن المسمى بـ روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي، ط بولاق 1276هـ.
- جامع البيان في تفسير القرآن، تفسير الطبري، طبعات مختلفة.
- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ط دار الغد العربي.
- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، د/ لبيب السعيد، ط، دار المعارف.
- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، د/ عبد الفتاح شلبي، ط نهضة مصر، 1960م.
- روح المعاني في تفسير القرآن للألوسي، ط دار الفكر العربي، 1997م.
- الصافي في تفسير كلام الله الوافي (شيعي) للفيض محمد بن مرتضى الكاشاني، ط مهران 1893م.
- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، للحافظ أبي العلاء الهمداني، تحقيق د/ أشرف طلعت، ط الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط أولى 1994م.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، ط الخانجي 1933م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، المطبعة البهية 1348هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، ط الخانجي 1320هـ.
- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لمحبه الله بن عبد الشكور، ط بغداد 1322هـ.
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط دار الهجرة، ط أولى 1417-1996م.
- كتاب العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، نشره وعلق عليه طلعت قوج بيكيب، وإسماعيل جراح أوغلي، أنقرة 1963م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، ط مصطفى محمد 1308هـ.
- كنز العرفان في فقه القرآن، جمال الدين السيوري تعليق محمد باقر شريف زادة، طهران، ط المرتضوية 1384هـ.
- لطائف الإشارات الفنون القراءات، للقسطلاني تحقيق د/ عبد الصبور شاهين، الشيخ عامر السيد عثمان، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- لطائف البيان في رسم القرآن، شرح مورد الظمان للشيخ أحمد أبو زيتحار، ط الأزهر 1953م.
- المحكم في نقط المصاحف للداني، تحقيق د/ عزة حسن، دمشق 1371هـ.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف ١٩٤٦م.  
معانى القرآن، للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، ط دار الكتب المصرية  
١٩٥٥م.

المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار للداني تحقيق الشيخ/ محمد الصادق قمحاوي، نشر  
مكتبة الكليات الأزهرية.

الملل والنحل، للشهرستاني، تعليق د/ محمد بن فتح الله بدران، ط الأزهر ١٩٥١م.  
منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، تحقيق محمد حبيب الله الشنقيطي، أحمد محمد شاكر  
مكتبة القدسي ١٣٥٠هـ.

مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ط الحلبي ١٣٦١هـ.  
مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د/ شعبان صلاح، ط دار غريب  
بالقاهرة.

النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، القاهرة، ١٩٦٠م.  
النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، طبعة دار الفكر.  
نقض الوشعية في نقد عقائد الشيعة، لموسى التركستاني، بيروت، ١٩٥١م.  
النهاية لابن الأثير، تحقيق د/ محمود الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، ط دار إحياء الكتب العربية  
١٩٦٦م.